The Geopolitical Dimensions Of The Discoveries And Gas Lines And The Middle East Map

Aula A. Sadeq*

(Received 9 / 8 / 2020. Accepted 10 / 9 / 2020)

□ ABSTRACT □

The discoveries of gas fields in the Eastern Mediterranean region led to many regional reactions; between those who welcomed it, and between expectations of the outbreak of conflicts over those fields and the overlapping of the influence of the major countries in the region. In the forefront: Russia and the states The United States of America, the European Union, Syria, Turkey, Lebanon and Palestine.

This research sheds light on the new gas discoveries in the Eastern Mediterranean countries and their economic and geopolitical impact on the relations of the major countries with the region. The study aimed to look at the reality of the energy war that the region is witnessing and its role in shaping future international policies and strategies. The study used the descriptive analytical approach to describing the true picture behind the strategies of the state's parties that were discussed, indicating the impact of invasive discoveries in drawing these strategies.

The study concluded that the Middle East region embraces the most important wealth and the most intense battles. As none of the parties can work alone to end the conflict politically or militarily, but requires coordination on the level of international interests for each party, given that the region is only an arena that hosts a set of goals and interests the opposing major countries of the world.

Keywords: Energy Strategy, Strategic Geography, Middle East Map, Eastern Mediterranean Gas.

* **Phd - International Relations, Economic Department, Faculty of Economics, Tishreen University, Latakia, Syria.**

الأبعاد الجيوسياسية لاكتشافات وخطوط الغاز وخارطة الشرق الأوسط

علا علي صادق*

(تاريخ الإيداع 9 / 8 / 2020. قُبِل للنشر في 10 / 9 / 2020)

□ ملخّص □

أدت اكتشافات حقول الغاز في منطقة شرق المتوسط إلى العديد من ردود الأفعال الإقليمية المتباينة؛ ما بين مرحب بتلك الحقول باعتبارها نواة لتعاون إقليمي بين دول شرق المتوسط، وما بين توقعات باندلاع صراعات حول تلك الحقول وتداخل نفوذ الدول الكبرى في المنطقة، في مقدمتها: روسيا والولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي وسورية وتركيا، ولبنان وفلسطين.

يسلط هذا البحث الضوء على الاكتشافات الغازية الجديدة في دول شرق المتوسط وأثرها الجيوسياسي على علاقات الدول الكبرى مع المنطقة. حيث هدفت الدراسة إلى تبيان الحقائق الجيوسياسية والطاقية الكامنة وراء الحرب الكونية على سورية وما هو دورها في رسم السياسات والاستراتيجيات الدولية المستقبلية، متبعة المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف الصورة الحقيقية وراء استراتيجيات الدول الأطراف التي تناولها البحث مبيناً أثر الاكتشافات الغازية في رسم تلك الاستراتيجيات.

خلصت الدراسة إلى أن منطقة الشرق الأوسط تحتضن أهم الثروات وأعتى المعارك، إذ ليس باستطاعة أي من الأطراف منفرداً العمل على إنهاء الصراع سياسياً أو عسكرياً، إنما يتطلب الأمر تنسيقاً على مستوى المصالح الدولية لكل طرف على اعتبار أن المنطقة ليست سوى ساحة تستضيف جملة من الأهداف والمصالح المتعارضة لكبرى دول العالم.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية الطاقة، الجغرافيا الاستراتيجية، خارطة الشرق الأوسط، غاز شرق المتوسط.

* **دكتوراه –العلاقات الدولية، قسم الاقتصاد والتخطيط، كلية الاقتصاد، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدمة:

لقد اعتادت دول العالم على البحث عن خلفيات مواقف قد تتخذها تجاهها أطراف أخرى على اختلاف تشكيلاتها وانتماءاتها ومعتقداتها، وأصبح ضرباً من السذاجة الأخذ بالأسباب الظاهرية المعلنة التي تصرح بها تلك الأطراف تبريراً لمواقفها، والأمر الوحيد الذي غدا من السهل معرفته هو جوهرية المصالح الخفية إن صح التعبير والتي تعكسها شراسة تلك المواقف.

شغلت مسألة الأمن الطاقي للدول حيزاً كبيراً ومازالت تفعل، فقد كانت الثروات النفطية سبباً رئيساً (وإن كان غير ظاهري) للكثير من الصراعات والحروب لوقت طويل ومنذ أمد ليس بالبعيد. ولازالت المسألة قائمة لا بل وأصبحت أكثر تعقيداً بسبب تشابك المصالح وتنوع أشكال وأدوات الصراع. لكن الطاقة موضوع الاحتراب اختلفت، واختلفت معها إلى حد ما الدول التي تشكل ساحة الصراع.

أدى الحلول التدريجي للغاز محل النفط إلى تقلبات دولية نوعية، كما أدت اكتشافات الحقول والمكامن الغازية إلى تغييرات جذرية مفاجئة في المعادلات الدولية كان للشرق الأوسط قسطٌ وافرٌ منها، إلا أن هذا القسط لم يكن عائداً للاكتشافات الغازية وحسب، بل كان لخطوط وأنابيب النقل الحصة الأوفر منه (Darbouche, *et al.*, 2012).

في هذا الشأن تتباين دول الشرق الأوسط ويختلف الثقل النوعي لكل منها في الصراع الدائر، تبعاً لمقدار الثروة الكامنة في أراضيها، أو حسب موقعها الجغرافي ومدى أهميتها كبلد عبور وصلة وصل بين المنتج والمستهلك (Fattouh and Stern, 2012). إن التقدم التكنولوجي الهائل ودخول التكنولوجيا باهظة الثمن مجالات التنقيب الغازي أدى إلى استئثار الدول الغنية بعمليات التنقيب والبحث وتركز الشركات العاملة في هذا المجال وانتمائها لتلك المجموعة من الدول. إضافة إلى ذلك فإن الاقتصاديات الكبرى والمستهلك الأول للغاز هي ذاتها الدول الأم لشركات الطاقة، كما أنها وبحسب بعض المدارس كتلك التي تتبنى نظرية النضوب والتي تتحدث عن الوصول إلى ما يسمى نقطة المنتصف فيما يخص كميات الإنتاج والاحتياطي النفطي والانحدار المتسارع بعد هذه النقطة باتجاه النضوب في تلك الكميات (900 بليون برميل للإنتاج/ 2000 بليون برميل للاحتياطي) بدأت تشعر بالارتباك الشديد في اقتصادياتها إضافةً إلى أسعار الطاقة. كل ذلك من شأنه أن يجعل من الغاز الطبيعي مخرجاً من هذه الأزمة (ليسر، 2006). في حين تتركز معظم حقول الغاز الطبيعي ومكامنه في العالم المقابل، وبذلك تتم استثمارات توريد الغاز عبر عقود مجحفة. الأمر الذي يؤدي مع تضارب المصالح بين المنتج والمستهلك أو بين أي من الطرفين وبلدان العبور إلى الاضطرابات والقلاقل على المستوى الدولي.

وفي حقيقة الأمر فإن ما يميز الشرق الأوسط هو أنه منطقة عبور بالكامل، لهذا السبب وغيره يعد منطقة ساخنة وساحة للصراع بين الأطراف على اختلافها. وفي منطقة الشرق الأوسط ذاتها تحتل بعض الدول خصوصيةً ووضعاً مغايراً لبعضها الآخر، وعلى هذا فإن الباحثة تتناول هذه المجموعة من الدول وواقع الصراع ذي الخلفية الطاقية فيها بشيءٍ من التفصيل.

أهمية البحث و أهدافه:

يشكّل أمن الطاقة العالمي تربة خصبة للنزاعات الدائرة والتخبّط الدولي، وذريعة تستند إليها الدول في التدخّل في شؤون بعضها البعض، تبعاً لمصالحها وما يخدم متطلباتها. الأمر الذي نجم عنه في كثير من الأحيان تعسّف في استخدام

القوة سواء كانت سياسية أم اقتصادية. أفضت الاكتشافات الغازية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط إلى واقع جديد مفاده التعددية القطبية، الأمر الذي شكل خطراً يحيق بسياسة القطب الواحد والتي عانى العالم ويلاتها لعقود عدة.
تبرز مشكلة وأهمية البحث من خلال الظروف الاستثنائية التي ولّدها اكتشاف الغاز كطاقة مستقبلية بديلة عن النفط و ما هو الأثر الجيوسياسي لتلك الاكتشافات على موقع سورية على الساحة الدولية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- الوقوف على المعطيات التي جعلت من حوض شرق المتوسط وسورية خصوصاً نقطة التقاء لمصالح الدول الكبرى على اختلاف توجهاتها.
- تبيان الحقائق الجيوسياسية والطاقية الكامنة وراء الحرب الكونية على سورية وما هو دورها في رسم السياسات والاستراتيجيات الدولية المستقبلية.

منهجية البحث:

تندرج الدراسة تحت المنهج الوصفي التحليلي الذي ينحصر في جانب العلاقات السياسية الدولية ليعكس الصورة الحقيقية وراء استراتيجيات الدول الأطراف التي تناولها البحث مبيناً أثر الاكتشافات الغازية في رسم تلك الاستراتيجيات.

النتائج والمناقشة:

1- اكتشافات وخطوط نقل الغاز وواقع الصراع العالمي

لا يخفى على أي كان أن الانقسام العالمي المتمثل بالشرق والغرب، تمثل طرفه الغربي الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى إضافة إلى دول غرب أوروبا، في حين تمثل كل من روسيا، الصين وإيران طرفه الشرقي – وإن لم تكن في الفترة الماضية وحتى الأمس القريب تشكل قطباً ثانياً للعالم الذي اتسم في ذلك الحين بأحادية القطب– إضافة إلى مجموعة من الدول الفاعلة بشدة على مستوى المنطقة. إن الانقسام العالمي سابق الذكر يترجم على الأرض بالسعي الحثيث لتحقيق الأمن الطاقي وخصوصاً أمن الغاز، متمثلاً باحتياطيات وملكية الاستثمارات الغازية (جدول 1) وخطوط النقل، وتأمين هذا الوقود الحيوي وحمايته على طول هذه الخطوط، لما فيه من حماية للمصالح العالمية الكبرى لجميع الأطراف.

وبناءً عليه يمتد كل من خط أنابيب السيل الشمالي (بطول يصل إلى 1222 كم وطاقة تمريرية تقدر ب 55 مليار متر مكعب سنوياً)، من مدينة فيبورك الروسية وصولاً إلى كريسفالد في ألمانيا عبر مياه البلطيق، عابراً بذلك المياه الإقليمية لكل من فنلندا والسويد والدانمارك إضافة للمياه الإقليمية الروسية والألمانية. يتجه الخط من الشرق غرباً ومن ثم باتجاه الجنوب ليغذي اقتصاديات أوروبا عن طريق المنفذ الألماني (شكل 1)، وخط أنابيب السيل الجنوبي (بطاقة تمريرية تقدر ب 63 مليار متر مكعب سنوياً) وهو بدوره روسي المنشأ يتجه نحو بلغاريا عبر البحر الأسود ومنها يتفرع شمالاً وغرباً باتجاه عدة دول أوروبية ليغذي قلب القارة العجوز بالوقود الغازي (شكل 2). وبالعودة إلى العالم المنقسم شرقاً وغرباً فإن الخطين آنفي الذكر يقعان ضمن ممتلكات الشرق (صادق، 2015).

وفي مقابل ذلك أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على تبني مشروع رأت فيه خلاصاً من القبضة الروسية على موارد الغاز وإقصاءً للدور السياسي الدولي الروسي، وقد تم الإعلان عن فكرة المشروع بدعم أوروبي كبير وتأييد مطلق من قبل تركيا، في خطوة أولى نحو تحقيق الهدف الرئيس الذي يسعى إليه التحالف الغربي والذي يتمثل بما يلي (Minin, 2013):

- منع روسيا من احتكار الغاز وخطوطه المتوجهة نحو أوروبا.
- تهيئة الفرصة لأوروبا للاستفادة من موردين للغاز حلفاء لها كإسرائيل.
- تهيئة الفرصة أمام إسرائيل لضخ الغاز براً وبأقل التكاليف.
- منع إيران من التحكم بالاحتياجات الغازية التركية وأنابيب الغاز المارة عبر تركيا.

ومن هنا ولد خط أنابيب نابوكو (بطول يصل إلى 3300 كم وطاقة تمريرية تقدر ب 31 مليار متر مكعب سنوياً)، كمجرد فكرة واقتصر على ذلك.

الجدول 1: إجمالي احتياطيات الغاز الطبيعي المثبتة

اجمالي احتياطيات الغاز الطبيعي المثبتة	ترليون م3		
	1997 نهاية	2007نهاية	2016نهاية
أمريكا الشمالية	8.0	8.4	10.9
أمريكا الوسطى والجنوبية	6.6	7.8	8.3
أوروبا	4.9	5.0	3.0
رابطة الدول المستقلة	40.3	41.2	59.0
الشرق الأوسط	48.6	73.6	59.0
أفريقيا	10.2	14.0	59.0
آسيا (دول المحيط الهادئ)	9.4	13.6	59.0
Total World	128.1	163.5	193.1

المصدر: وكالة الأمن الطاقوي (Bp, 2018; Eia, 2017).

يظهر من الجدول (1) أن أهم احتياطيات العالم من الغاز الطبيعي تقع في الشرق الأوسط ورابطة الدول المستقلة (روسيا ودول الاتحاد السوفيتي سابقا)، بالتالي فهما الموردان الأساسيان لسد احتياجات أوروبا من الغاز الطبيعي.

الشكل 1: يبيّن سير خط غاز السيل الشمالي. المصدر: (Gazprom, 2007).

الشكل 2: يبيّن سير خط غاز السيل الجنوبي. المصدر: (Gazprom.com).

2- الحقائق الجيوسياسية والطاقية للحرب على سورية

1: الدور التركي:

وجدت تركيا في خط نابوكو (شكل 3) ضالتها بتكوين وزن نوعي لها في المنطقة وسبيلاً إلى الاتحاد الأوروبي، كما رأت فيه بالإضافة إلى خطوط أخرى ما يجعل منها عقدة حيوية لجملة من أنابيب النقل وبلد عبور للغاز الطبيعي من الشرق إلى الغرب، مستفيدة بذلك من الميزة النسبية التي يوفرها لها الموقع الجغرافي. وعليه تم إيجاد ما هو أشبه باتفاق

ضمني بين كل من رؤوس الدولة التركية من جهة والولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، عماد ذلك الاتفاق هو تبادل المصالح الحيوية للطرفين في منطقة الشرق الأوسط.

يحقق الاتفاق سابق الذكر للجانب الأمريكي ما يلي (حافظ، 2014):

1. تتعهد تركيا بأن تكون طرفاً حليفاً وليس مناهضاً عند تقسيم المنطقة، حسبما يخدم خطط الولايات
2. تلعب الولايات المتحدة دور المتحكم الرئيس بعقدة الغاز المتمركزة في الأراضي التركية.
3. تضمن الإدارة الأمريكية حصة حليفتها في الشرق ا
4. سط " إسرائيل" من غاز المشرق، وذلك بضم القطاع الغازي اللبناني إلى الملكية الإسرائيلية.
5. تمد تركيا يد المساعدة في تأمين الغطاء والذريعة للبيت الأبيض للتمدد داخل آسيا والشرق.
6. تؤمن تركيا كافة التسهيلات الممكنة لواشنطن، وذلك لتمكينها من احتلال كل من سوريا والعراق.

وعلى الصعيد التركي، فمن شأن الاتفاق الأمريكي التركي أن يحقق لها مكاسب جوهرية أهمها (حافظ، 2014):

1. أن ترسم الولايات المتحدة خط أنابيبها المنشود "نابوكو" محايداً لليونان ومتلافياً المرور عبر ما يعد ملكية يونانية، وتأتي تلك الخطوة في محاولة تركية للحصول على مقعد اليونان في الاتحاد الأوروبي، ومن ثم الاستحواذ على كامل الجزيرة المتنازع عليها (قبرص).
2. تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها مسألة تحويل تركيا إلى عقدة ضخمة من شبكات الأنابيب التي تربط الشرق بالغرب.
3. تعطى الدولة التركية فرصةً لتأسيس حزب إسلامي إخواني هو الأضخم، لتصبح تركيا – وبدعم أمريكي – معقل تنظيم الإخوان المسلمين في العالم.
4. حصة تركيا من الطاقة في المنطقة ستتمثل بالنفط السوري والغاز القبرصي.
5. تلتزم الإدارة الأمريكية بإعطاء دور ونفوذ عالمي للأتراك على المستوى الفردي ومستوى الشخصيات.
6. جغرافياً واستراتيجياً، تحتل تركيا قطعة من الأرض السورية تعويضاً عن ما قد تخسره بالمقابل من أراضٍ قد يؤسس فيها لدولة كردية في الجنوب الشرقي. وتحظى أيضاً بنفوذٍ قويٍ في المنطقة يصل حتى مصر.

لقد كان من المقرر أن تكون تركيا مفترق طرق لخط السيل الأزرق القادم من روسيا، والذي سيتفرع داخل الأراضي التركية إلى خطين منفصلين، متجهاً بشقه الأول إلى قلب أوروبا، وبشقه الثاني إلى الشرق الأوسط وإسرائيل (Economic Brief, 2005). كما يهدف خط الغاز العربي بمرحلته الخامسة والأخيرة إلى أن يصل أراضي الشمال السوري بتركيا، عبر ملاقاته لخط نابوكو، وتغذيته له بغاز المنطقة العربية ومنطقة شرق المتوسط قبل توجهه لمصباته في العمق الأوروبي. وكما المرحلة الأخيرة لخط الغاز العربي، كذلك فإن خط غاز شرق المتوسط الذي يغذي إسرائيل بالغاز المصري، كان من المقرر له أن يكمل سيره بحراً حتى المرافئ التركية. من جهة أخرى يتخذ الغاز الإيراني من الأراضي والمنافذ التركية بوابة له نحو السوق الأوروبية عبر خط الأنابيب الإيراني Pars العابر لتركيا.

إن من شأن هذه الخطوط مجتمعة أن تشكل شبكة ضخمة تخترق أراضي تركيا، وتعبر منافذها البرية والبحرية، بكمية وافرة من الغاز تصل إلى ما يقارب 85 مليار متر مكعب سنوياً في الخطوط مجتمعة. لكن أبسط مقومات النجاح لأي خط أنابيب لم تتوافر في خط نابوكو، الذي وصف بأنه مجرد مغامرة غربية وردة فعل غير محسوبة، والذي كان أول الخطوط التي تعبر تركيا من حيث الأهمية. من ناحية أخرى، فقد علق العمل بخط أنابيب السيل الأزرق بفرعه الثاني، المتجه نحو إسرائيل على أقل تقدير، لأسباب ربما تضمن وتخدم نجاح خطوط أنابيب أخرى في المنطقة. أما فيما

يخص القسم التابع لخط الغاز العربي الذي يتواجد داخل الأراضي التركية والذي من المقرر له أن يلاقي ويغذي خط نابوكو فقد تم إيقاف العمل به على خلفية فشل الأخير والإرهاب المتنامي على الأرض السورية. وهكذا تداعت شبكة الأنابيب في العمق التركي الواحد تلو الآخر، وتداعى معها المستقبل الذي رسمته تركيا لنفسها، عبر كونها بوصلة العالم الجديدة فيما يخص الأمن الطاقي.

الشكل 3: يبيّن سير خط غاز نابوكو. المصدر: (Nabucco.com).

بعد الفشل الذريع لخط نابوكو، أيقنت دول الاقتصاد الصناعي أن مؤونتها من الطاقة الغازية لن تفي بالغرض عبر حقول أذربيجان، إنما عليها البحث عن ضالتها المنشودة لدى ثاني أكبر مصدري الغاز في العالم. وبعيداً عن الغاز الروسي، قصدت الدول الأوروبية الغاز الإيراني، وعبر أقصر المنافذ له باتجاه أوروبا وهو البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي عبر سورية بوابة الشرق الأوسط على المتوسط، ومصفاة الشرق الأوسط للغاز كما سيتضح لاحقاً.

2: إيران والعراق:

الدولتان اللتان تشكلان مع سورية ثلاثياً غازياً هو الأقوى في الشرق الأوسط، فقد جاء خط الغاز الإسلامي (بطول أولي يصل إلى 2000 كم وطاقة تمريرية تقدر ب 100 مليون متر مكعب يومياً)، مغايراً لتوقعات الغرب، فهو يربط ثلاثة من أقوى دول المنطقة –المترابطة سياسياً مسبقاً– عبر شبكة أنابيب تمتد من إيران إلى سورية مارة بالأراضي العراقية (Jalilvand, 2013).

لكن التوافق السياسي الذي من شأنه أن يفضي إلى تحالف طاقي ناجح لم يكن متحققاً بين دول خط الغاز الإسلامي ودول الغرب، بل على العكس من ذلك، فإن النهج السياسي لدول هذا الخط يتفق مع السياسة الروسية إلى حد بعيد. فكان أقصر الطرق باتجاه خط الأنابيب الإسلامي من وجهة النظر الأمريكية والأوروبية هو إزالة العائق المتمثل بالنظام والنهج السياسي في سورية، وهذا ما يفسر بداية تحول التمرد في سورية إلى العمل المسلح، في ذات الفترة التي تمت المصادقة فيها على اتفاقية بوشهر الإيرانية– السورية– العراقية حول الخط السابق ذكره من العام 2011.

والجدير ذكره، أن خط سير الغاز لن يكون من إيران إلى سورية عبر العراق فقط، بل من المخطط له أن يتم نقل الغاز من منطقة الشرق الأوسط وسورية تحديداً إلى إيران، وفي خطوة لاحقة إلى باكستان، ليصل بعدها إلى وجهته النهائية مغذياً الاقتصاد الصيني. ليغدو من أضخم أنابيب النقل على مستوى العالم سواء من حيث الطول أو من حيث السعة التمريرية.

3: الواقع الإسرائيلي والدور الأمريكي:

تتواجد دولة الكيان الصهيوني في قلب خارطة الغاز الشرق أوسطية، إذ يندرج عدد من حقول الغاز الطبيعي تحت سيطرة إسرائيل بدءاً من المناطق المقابلة للسواحل كحقلي ليفياثان (باحتياطي يتراوح ما بين 460 إلى 566 مليار متر مكعب) وتمار (باحتياطي يبلغ 274 مليار متر مكعب) الشهيرين والذين تم اكتشافهما بين عامي 2009– 2010، والذين تستثمر في كل منهما شركة نوبل إنرجي الأمريكية الجنسية. إضافة إلى ذلك، فإن المياه العميقة الإسرائيلية تضم مجموعة من الحقول وأحدثها حقل تنين المكتشف عام 2012، ويقدر احتياطيه بحوالي 34 مليار متر مكعب وتستثمر فيه كل من نوبل إنرجي الأمريكية وديليك الإسرائيلية (جدول 2) (Schenk, *et al.*, 2010; Darbouche, *et al.*, 2012).

الجدول 2: يوضح أهم الحقول المكتشفة في مياه شرق المتوسط والشركات المستثمرة ومكان عملها

الحقل	سنة الاكتشاف	الاحتياطي المقدّر/ مليار متر مكعب	الشركة المستثمرة	الجنسية	مكان العمل والتنقيب
تنين	2012	34	نوبل إنرجي مجموعة ديليك	أمريكية كيان إسرائيلي	المياه العميقة قبالة السواحل الفلسطينية
أفروديت	2011	85 – 255	نوبل إنرجي مجموعة ديليك	أمريكية كيان إسرائيلي	قبالة السواحل الجنوبية لقبرص
ليفياثان	2010	460 – 566	نوبل إنرجي	أمريكية	قبالة السواحل الفلسطينية
تمار	2009	274	نوبل إنرجي	أمريكية	قبالة السواحل الفلسطينية
ماري – ب	2000	31	نوبل إنرجي مجموعة ديليك	أمريكية كيان إسرائيلي	المياه العميقة قبالة السواحل الفلسطينية
بحر غزة	2000	28	مجموعة BG	بريطانية	سواحل قطاع غزة
نوح	1999	1	نوبل إنرجي مجموعة ديليك	أمريكية كيان إسرائيلي	المياه العميقة قبالة السواحل الفلسطينية

الجدول من إعداد الباحثة

المصدر: (Schenk, *et al.*, 2010; Darbouche, *et al.*, 2012).

تحاول إسرائيل المحتلة ما أمكنها الاستفادة من الوضع القائم في منطقة الشرق الأوسط، وكسب التحولات السياسية والميدانية الأخيرة لصالحها. فبحسب مجموعة من المحللين الاقتصاديين، فإن أفضل منافذ وطرق عبور الغاز الإسرائيلي إلى مستورديه الأوروبيين سيكون عبر الشواطئ اللبنانية فالسورية ومنها إلى المنفذ التركي. إلا أن محاولات إسرائيل السطو واحتلال ممتلكات الغير، يفسر زحف إسرائيل المتواصل باتجاه قطاع غزة الذي كشف السبر لمياهه العميقة عن وجود مكامن غازية عملاقة، السبب ذاته أفضى إلى خلاف كبير حول حدود المياه الإقليمية لكل من لبنان وإسرائيل المتجاورتين، في محاولة إسرائيلية لانتزاع ملكية حقول الغاز ذات الاحتياطيات الهائلة والتي تتبع أصلاً للملكية اللبنانية وتقع داخل حدود المياه الإقليمية للبنان. إذ أجرت شركة سبيكتروم جيو البريطانية مسحاً جيولوجياً للمياه اللبنانية، وتحديداً لمنطقة الساحل الجنوبي، أفضت نتائجه لاحقاً إلى الكشف عن احتياطي غازي يصل إلى 25000 مليار متر مكعب بمساحة 3000 كم، ما يكفي لتغذية محطات توليد الكهرباء اللبنانية لمدة تفوق المائة عام، الأمر الذي سيغني لبنان عن استجرار الطاقة الكهربائية من دول الجوار كسورية (السلامي، 2013).

كما أن التوجه الاقتصادي السوري و من ورائه التوجه السياسي في حالة عداء أزلية مع هذا الكيان الغاصب، الأمر الذي يجعل إمكانية وصول إسرائيل لأهدافها في المنطقة أمراً مستحيلاً في ظل وجود نظام سياسي كالنظام الحاكم في سورية. وفي ظل انتماء سورية لمحور المقاومة الذي يؤرق إسرائيل، ولأجل كل التاريخ السوري الإسرائيلي، فإن ما يخدم إسرائيل قد التقى في بوتقة واحدة مع مصلحة كل من تركيا– قطر– السعودية والولايات المتحدة الأمريكية.

وأما الولايات المتحدة فيبدو أنها قد اتخذت نهج التدخل غير المباشر كسياسة حديثة العهد، إذ بدأت تسلم منطقة الشرق الأوسط لدول إقليمية حليفة، بعدما منيت بخسائر فادحة جراء تدخلاتها العسكرية المباشرة هنا وهناك في الشرق، والتي لم تعد عليها سوى بالإنهاك الاقتصادي والأزمات الاقتصادية المتتالية، حتى وصل حجم دينها العام إلى ما نسبته 99.6% من حجم الناتج الإجمالي الأمريكي، وهو ما يقدر بحوالي 14.94 تريليون دولار (السلامي، 2013؛ ليسر، 2006).

لقد أدركت واشنطن أن حرب العصر هي حرب اقتصادية بامتياز، سلاحها الفتاك هو الطاقة ووقودها الغاز ولا شيء سواه، ووجدت الولايات المتحدة اقتصادها في موقف هزيل أمام اقتصاديات صاعدة، كاقتصاديات دول البريكس "BRICS" وعلى رأسها روسيا والصين، التي تشير التقارير أنها ستكون الاقتصاد الأضخم بلا منازع وذلك بحلول عام 2030. وبذلك كانت الحرب الأمريكية على أفغانستان، ومحاولات كسب باكستان كحليف، بغية قطع أي إمداد غازي بري ممكن يتجه نحو تغذية الاقتصاد الصيني. لم تعد للولايات المتحدة القدرة على ضخ مليارات الدولارات في حرب جديدة واحتلال دولة شرق أوسطية، فحربها الاقتصادية مع روسيا والصين التي بدأت للتو ستستهلك القوة الأمريكية بشكل كامل، وعليه كان ما سمي بثورات الربيع العربي (والفكرة وليدة الصهيوأمريكية بامتياز)، وذلك لضمان أمن إسرائيل وإنهاك الدول المحيطة بها وخاصة محور المقاومة في وجه الصهيونية (ليسر، 2006).

ولإنعاش اقتصادها المثقل بالديون، تنتهج الولايات المتحدة سياسة الاعتماد على الذات طاقياً وبشكل تدريجي، حتى يصل إلى ما نسبته 50% من الاكتفاء الذاتي بالنفط والغاز بحلول العام 2020، وصولاً إلى نسبة 100% بإتمام الأعوام الخمسة عشر اللاحقة حسب خبراء الاقتصاد. بالإضافة إلى محاولة الاعتماد قدر الإمكان على مصادر محلية متنوعة لإمدادات الطاقة، كالفحم الحجري وغيره من طاقات نووية ومائية وطاقة الرياح. وفي المنظور الاقتصادي المستقبلي، باتت الولايات المتحدة تتطلع نحو الاعتماد في استيراد الطاقة على الموردين الأكثر قرباً، وفي مقدمتهم كندا، وذلك بغية تقليل التكاليف والمخاطر، بقصد مناطق الاستقرار والابتعاد عن مناطق النزاعات والقلاقل الأمنية.

لقد غدا القلق والتخبط مسيطرين على خطط وقرارات الإدارة الأمريكية بعد إدراكها أفول زمن القطب الواحد، ولأنها اعتادت التواجد في كل منطقة، واعتادت رسم السياسات حول العالم حسب ما يخدم تطلعاتها وخططها بعيدة المدى، فإن خطتها حول الاكتفاء الذاتي لم تكن سوى عنصر من خطتها رباعية العناصر، والتي تقضي بقية بنودها بما يلي (السلامي، 2013):

- العمل مع الحلفاء الأوروبيين على تنويع مصادر الطاقة وأنواعها ومورديها، وذلك بغية الاستغناء قدر المستطاع عن الغاز الروسي.
- محاولة التحكم بالطرق البحرية الشرق آسيوية، لتضييق الخناق على الاقتصاد الصيني بحرياً، بعد محاولة السيطرة البرية على طرق الغاز المتجهة نحو الصين كما ذكر آنفاً.
- الحفاظ على وضع أمريكا موضع الوصي والرقيب على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي خصوصاً، للتحكم بطرق توريد النفط والغاز وكمياته، صوناً لمصالح حليفتها الصهيونية في المنطقة.

4: الدور القطري:

يؤخذ على خط الغاز الإسلامي استناداً إلى المنظور الطائفي لدى بعض الدول – كقطر مثلاً– أنه يدعم طائفة دون غيرها، عبر توجهه من إيران ماراً بالعراق فسورية التي تحتضن أقليات من طوائف وديانات عدة. فمن جهة أولى، إن هذا الأمر لا يبدو ملائماً مطلقاً للتوجه الطائفي لقطر، التي تتقاسم وإيران ملكية الحقل الغازي (South Pars) (Minin, 2013). ومن جهة ثانية، فإن غاز الشرق الذي سيغذي كبرى الاقتصاديات الأوروبية، إما سيتخذ الوجهة – شرق/غرب– عن طريق الغاز الإيراني عبر المنفذ السوري، أو أنه سيكون باتجاه – جنوب/ شمال– عن طريق كل من غاز الربع الخالي السعودي و الغاز القطري، والذين لن يبصر أي منهما النور دون المرور بالأراضي السورية، وعبر المنفذ السوري على المتوسط حصراً. إذ تسعى قطر سعياً حثيثاً لإنشاء خط أنابيب لنقل الغاز من قطر مباشرةً وعبر السعودية إلى الاقتصاد الغربي ويتوقع حسب مكامن الغاز وحقوله المكتشفة في المنطقة أن يمرر الخط المذكور الغاز بطاقة استيعابية ضخمة، ما يجعله منافساً حقيقياً لأنابيب النقل الروسية. ولذلك فإن الخط يحظى بدعم ورعاية أمريكية مباشرة.

تقضي خطة سير الخط – والذي تراهن عليه الولايات المتحدة الأمريكية في توجيه ضربة قاصمة للغاز الروسي – بدخوله الأراضي السعودية منطلقاً من قطر، ثم الأردن متلافياً الدخول إلى الأراضي العراقية، ومن الأردن متوجهاً بشكل مباشر إلى حمص في العمق السوري (الشكل 4). تتم تغذية الخط في هذه النقطة بالهيدروكربون من احتياطي الحقول في تلك المنطقة، ويتوزع الخط عند محافظة حمص إلى ثلاثة خطوط، يتجه الأول مباشرةً إلى اللاذقية ومنها إلى التصدير عبر مياه المتوسط، فيما يتجه الثاني باتجاه الشمال قاصداً الأراضي التركية، ويتجه الفرع الثالث إلى لبنان وتحديداً طرابلس في الشمال (الكردو، 2018).

تعيش الحرب الكونية على سورية عامها الرابع، وقد سجل التاريخ تفاصيلها، وسجلت أقسى المعارك وأكثرها ضراوةً في حمص وحلب وريف دمشق (صادق و اسماعيل، 2014). ولكن!!! لماذا اختيرت هذه المدن دون غيرها؟؟

على نقطة المفترق لخطوط المشروع من وجهة نظر أمريكا وحلفائها أن تكون تحت السيطرة الكاملة، لذلك فإن اسم حمص قد تردد مراراً في المحافل الدولية، وحاولت الولايات المتحدة مراراً وتكراراً توريد المساعدات إليها ظاهراً، وإشباع الإرهاب المتمركز فيها بالسلاح ضمناً، وسعت بشتى السبل لإحكام قبضتها عليها، وإيجاد سبيل باتجاهها عبر ما سمي بالممرات الإنسانية الآمنة، وتحديداً في أكثر المناطق الاستراتيجية غازياً – إن صح التعبير– في القصير. أما محافظة ريف دمشق فهي عبارة عن محافظة تتبع الدولة السورية وتقع على الخط الفرعي الذي سينقل غاز قطر إلى طرابلس

في الشمال اللبناني، أضف إلى ذلك ما اكتشف حديثاً في قارة التي تتبع إدارياً لريف دمشق من حقل غازي يتميز بضخامة الإنتاج والقرب من السطح، إضافة لكونه واقعاً تحت قشرة اليابسة وليس في مياه البحر، الأمر الذي يقلل إلى حد بعيد من التكاليف المتعلقة بالاستخراج. كذلك هو حال حلب الواقعة على خارطة الخط ذاته بفرعه المتجه إلى تركيا شمالاً. فما كان من تركيا إلا أن تبنت معارك حلب، وأخذت على عاتقها تغذية الإرهاب فيها ودعم إرهابييها بالسلاح (ديوب ، 2016) (الشكل 4).

الشكل 4: يوضح خط سير أنبوب الغاز القطري–التركي (Qatar–Turkey Pipeline) المزمع انشائه من قطر مباشرةً وعبر السعودية إلى الاقتصاد الغربي. لاحظ أن الخط يتقاطع مع الخط الإسلامي (Islamic Pipeline) في حمص ومن ثم يدخل بالتوازي مع خط نابوكو (Nabucco Pipeline) إلى أراضي الاتحاد الأوروبي.

المصدر: www.passionforliberty.com/author/greg/

عندما نضع إصبعاً على الخارطة، ونصل فيما بين المدن التي يدور فيها قتال شرس، نلاحظ في نهاية المطاف أننا قد رسمنا خط الغاز المزعوم، ونلاحظ أننا قد فككنا في الوقت عينه شيفرةً بأسماء الدول التي تدعم وتغذي الإرهاب في سورية.

لهذه الأسباب مجتمعة، فإن لقطر اليد الطولى باستمرار الإرهاب على الأرض السورية، موظفةً لبعض الأحزاب والجماعات كتنظيم الإخوان المسلمين (انغدال، 2012)، في اتفاق يحقق مصالح وغايات الطرفين معاً، فهو من منظور التنظيم السلفي يوفر فرصة ثمينة للتوسع والانتشار، ومن المنظور القطري السعودي فهو يحكم سيطرة الأطراف الأخيرة، ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية و بلدان أوروبا الغربية، على دول مفصلية في المنطقة، ويخلصها من التأثير القوي والحضور السياسي لمحور الممانعة في الشرق الأوسط، الأمر الذي يترجم في تحقيق الغايات الاقتصادية وفي مقدمتها غايات توريد الغاز للأطراف المذكورة من الغرب وحلفائه، ويشكل انتصاراً غربياً على القطب الشرقي المتمثل بروسيا والصين. ترتكز قطر في ذلك على التواجد الفاعل للقواعد البحرية والجوية الكبرى الأمريكية والبريطانية الجنسية

على أراضيها، وتتخذ من هذا التواجد مصدر قوة لها، ودون إغفال لقوات الناتو الحاضرة بقوة في قواعدها في المكان ذاته (انغدال، 2012؛ Minin, 2013).

إن لعبة الإقصاء والاستبعاد، هي في سورية إقصاء للحضور والتواجد والدور، وتغيير للديموغرافيا، ولكن مع الحاجة الماسة للإبقاء على الجغرافيا والأرض.

الخاتمة:

لقد أضافت الاكتشافات الحديثة في مجال الطاقة للشرق الأوسط "ذي الموقع الاستراتيجي المتوسط للعالم" الكثير، فزادت أهميته أهميةً وتميزه تميزاً ووضعه الدولي خصوصيةً. وإن مجموعة المميزات هذه من شأنها أن تجعل من المنطقة عقدة عالمية سواء في مجال الطاقة أولاً، وفي باقي مجالات النقل والمجالات الاقتصادية تالياً، ما يصنع القوة العسكرية والثقل الدولي عبر الزمن، وهو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بالعكس. ولهذا السبب باتت القوة الاقتصادية والموقع الاستراتيجي يصنفان أولاً، والأمر عينه يجعل الأنظار تتجه نحو الشرق باقتصاده واستراتيجية موقعه من الصين إلى روسيا مروراً بالشرق الأوسط.

مع انقضاء القطب الأوحد ستسنح فرصة جوهرية للشرق بأن يكون العصر القادم عصر الشرق بامتياز، ولن يشهد العالم وجود عملاق سياسي _ عسكري أو اقتصادي، بل سيفسح المجال للميزة النسبية الدولية بالظهور. فتتألق روسيا بغازها، والصين باقتصادها الأضخم، والشرق الأوسط بثرواته وموقعه الاستراتيجي، وسيكون لزاماً على الولايات المتحدة وحلفائها الكف عن السعي وراء استرجاع الأمجاد بمحاولة إحياء الأحادية القطبية، إنما البحث عن وقود قواها الاقتصادية على طول خطوط الأنابيب باتجاه الشرق، بعيداً عن منطق الهيمنة والحروب باهظة الثمن من مختلف المناظير وعلى كافة الصعد، الأمر الذي اعتاد المعسكر الغربي إدراجه على لائحة الخطط والاستراتيجيات، والذي قد ينذر بمزيد من الصراعات والحروب لحيز من الزمن. إلا أن منطق المصالح المشتركة إذا ما ساد، فإن زمناً من الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي سيبدأ، وستحل الخطوط والأنابيب التي تخترق العالم من شرقه إلى غربه محل القوة والعتاد العسكري، وسيغدو الغاز الطبيعي سلاح الحرب ومفتاح السلم العالميين لأعوام طويلة قادمة.

الاستنتاجات والتوصيات:

❖ **الاستنتاجات:**

- تعتبر سورية (سياسةً وجغرافيا وثروات) فرصة بالغة الأهمية من منظور السياسة الخارجية الروسية منذ بداية العلاقات بين الطرفين في ظل الاتحاد السوفييتي وحتى الوقت الراهن، وقد جاءت الأزمة السورية لترسخ هذه الفكرة في الفكر السياسي الروسي.
- لا تقتصر أهمية الجغرافيا السورية على مخزونها من الطاقة، وإنما تتعداه إلى الموقع الاستراتيجي الذي يتوسط القارات الثلاث، مشكلاً من وجهة النظر الروسية بوابة لها نحو الشرق.
- يعد اختلاف النهج السياسي بين سورية والولايات المتحدة الأمريكية والذي يصل حد الاضطراب في علاقة الطرفين، أحد الدوافع لبحث روسيا عن ضالتها في المنطقة.
- تحتضن منطقة الشرق الأوسط أهم الثروات وأعتى المعارك، إذ ليس باستطاعة أي من الأطراف منفرداً العمل على إنهاء الصراع سياسياً أو عسكرياً، إنما يتطلب الأمر تنسيقاً على مستوى المصالح الدولية لكل طرف على اعتبار أن المنطقة ليست سوى ساحة تستضيف جملة من الأهداف والمصالح المتعارضة لكبرى دول العالم.

- تتشارك خطوط سير شبكات الغاز الدولية العابرة لسورية ومناطق المعارك الساخنة الجغرافيا ذاتها، وهذا ما يؤكد أن الحرب في مضمونها حرب على مكامن الطاقة وخطوط عبورها.
- تمثل الحرب في سورية حالة إثبات وجود دولي بالنسبة إلى روسيا، وفرصة مثلى لتكريس التعددية القطبية العالمية على أنقاض سياسة القطب الواحد.

❖ **التوصيات:**

- استغلال دول الشرق الأوسط الغازية لاحتياطياتها من جهة، على اعتبارها أحد أهم الموردين المستقبليين، ولموقعها الجغرافي كدول عبور من جهة ثانية.
- استغلال الدول النفطية الشرق أوسطية لحالة البحث الأمريكي عن البدائل الطاقية من الغاز الطبيعي في الاستقلال بقرارها السياسي والتخلص من حالة التبعية.
- قراءة دول الشرق الأوسط لمنحى العلاقات الدولية، في ضوء الوفرة الغازية والنضوب النفطي، استعداداً لجميع السيناريوهات المحتملة.
- وضع بلدان الشرق الأوسط أولويات وقوانين تحفظ لها حقوقها وحصصها من الطاقة وتعزز مكانتها الدولية.
- ضرورة تمتع القوانين والتشريعات الناظمة للاستثمارات الخارجية بالمرونة لاستقطاب شركات أجنبية ذات عقود منصفة للتنقيب عن الغاز.
- اللجوء إلى مؤسسات القانون الدولي والاتفاقيات الثنائية للوصول إلى حل النزاعات المتعلقة بالمناطق الاقتصادية الخالصة بين دول حوض شرق المتوسط.

References:

- BP 2018. BP Statistical Review of World Energy London.
- EIA 2017. Country Analysis Brief: Russia. USA.
- GAZPROM, (2007). Nord Stream: Historical Background. Retrieved 03-08- 2012, from: https://www.nord stream.com/historical background.
- DARBOUCHE, HAKIM; EL-KATIRI, LAURA; FATTOUH, BASSAM, (2012). *East Mediterranean Gas: what kind of a game-changer?* The oxford institute for energy studies, **V 71**, 1-37.
- FATTOUH, BASSAM; STERN, JONNATHAN (2012). Natural Gas Markets in the Middle East and North Africa. UK: Oxford University Press.
- LESSER, IAN (2006). Energy security: new dimensions and strategic implications (translation of Al-Sabah newspaper). Washington: International Institute for Studies: www.siironline.org
- MININ, DMITRY (2013). T**he Geopolitics of Gas and the Syrian Crisis: Syrian "Opposition" Armed to Thwart Construction of Iran-Iraq-Syria Gas Pipeline.** Strategic Culture Foundation, Global Research.
- HAFIZ, MUHAMMAD (2014) **Gas Pipeline War: The Other Face of Conflict in the Middle East ... The Geopolitical Game. Retrieved 20-2-2014 at: https://ar-ar.facebook.com/notes/**
- EL-KURDO, BAQER 2018. *Syria in the geopolitical stakes of gas*. Paris: Syrian Research Center.

● ECONOMIC BRIEF**: The Blue Stream Gas Pipeline**, (2005). The Power and Interest News Report (PINR). Retrieved 22-11-2013, from: /http://www.pinr.com/report.
● JALILVAND, DAVID (2013). **Iran's gas exports: can past failure become future success?** UK: The oxford institute for energy studies.
● SCHENK, C.J.; KIRSCHBAUM, M.A.; CHARPENTIER, R.R.; KLETT, T.R.; BROWNFIELD, M.E.; PITMAN, J.K.; COOK, T.A.; AND TENNYSON, M.E., (2010). *Assessment of undiscovered oil and gas resources of the Levant Basin Province, Eastern Mediterranean.* U.S. Geological Survey Fact Sheet, 2010-2014.
● SALAMI, SAMI (2013) Are we heading towards a new Middle East? Hespress. Retrieved on September 17, 2013 at: http://www.hespress.com/opinions/89037.html
● DAYOB, ANIS 2016. *Eastern Mediterranean Gas: regional conflict and a means of settling political scores*. London: The London Arab Newspaper.
● INGDAL, WILLIAM (2012). Global peace or ongoing war and conflicts (translation of the Areen Information Center). Info Strategist: https://strategyinfo.wordpress.com
● SADIQ, OLA, *Gas Transmission Lines and Their Impact on International Economic Relations in the Middle East*. Master's degree, Tishreen University, 2015, 131
● SADIQ, OLA AND ISMAIL, ROLA. *Gas transmission lines and their impact on international economic relations in the Middle East. An analytical study of each of the gas reserves, production and consumption.* Tishreen University Skull. Economic and legal sciences, 36,5,2014,20 pp.